

حسن التلقي للمكاره

قطعة

شرح رسالة

من:

الرسائل المفيدة للحياة السعيدة

للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد

وَيَتَلَقُّونَ الْمَكَارَةَ وَالْمَضَارَّ، وَالْهَمَّ وَالْغَمَّ^(١) بِالْمَقَاوِمَةِ لِمَا يُمْكِنُهُمْ
مَقَاوِمَتُهُ^(٢)، وَتَخْفِيفِ مَا يُمْكِنُهُمْ تَخْفِيفُهُ^(٣)، وَالصَّبْرَ الْجَمِيلَ لِمَا
لَيْسَ لَهُمْ مِنْهُ بَدٌّ^(٤).

(١) قوله: «ويتلقون المكاره، والمضار، والهم، والغم»: يعني بذلك: المؤمنين.
وهذا شروع في بيان حالهم مع الضراء، ومع ما يصيبهم مما يكرهونه مما فيه
ضر، أو هم، أو غم، أو خسارة، أو ما جرى مجرى ذلك من المكروهات.
(٢) قوله: «بالمقاومة لما يمكنهم مقاومته»: أي أنهم يأخذون بالأسباب
التي تدفع هذا البلاء ابتداءً قبل وقوعه، أو ترفعه بعد أن يقع؛ فيسعون
سَعْيَهُمْ لمواجهته؛ لأجل أن يسلموا من غوائله، وما يجلبه لهم من الهم
والغم؛ فيدروون ذلك قدر ما يستطيعون دون استسلام، أو تراخ، أو
تعطيل للأسباب.

(٣) قوله: «وتخفيف ما يمكنهم تخفيفه»: أي أنهم إذا لم يستطيعوا دفع الشرِّ
كلِّه سَعَوْا إلى تخفيف الآثار الناجمة عنه؛ فبعض الشرِّ أهون من بعض؛ فكما
أن تعطيل الشر مطلب فتقليله - كذلك - مطلب.

(٤) قوله: «والصبر الجميل لما ليس لهم منه بدٌّ»: أي أنهم إذا دهمهم أمر لا
طاقة لهم به؛ بحيث لا يستطيعون دفعه، ولا رفعه، ولا تخفيفه - تذرعوا
بالصبر الجميل الخالي من الشكوى، والجزع، والخور، والتسخط، مُسَلِّمِينَ لِمَا
فِي الْأَمْرِ، مُحْتَسِبِينَ عِنْدَهُ الثَّوَابَ وَالْأَجْرَ، مُنْتَظِرِينَ مِنْهُ جَمِيلَ الْفَرْجِ وَالْمَخْرَجِ.
وذلك تمام الحكمة، والعقل.

وبذلك^(١) يحصل لهم من آثار المكاره من المقاومات النافعة، والتجارب والقوة، ومن الصبر واحتساب الأجر والثواب أمور عظيمة تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسارُ والآمالُ الطيبةُ، والطمعُ في فضل الله وثوابه^(٢).

(١) قوله: «وبذلك»: أي بذلك التصرف الصحيح حيال ما يكرهون.
 (٢) قوله: «يحصل لهم» إلى قوله: «والطمع في فضل الله وثوابه»: هذه من آثار التصرف الصحيح، وحسن التلقي للمكاره؛ حيث يحصل لهم من جراء ذلك قوة الصبر، والتدربُ على تلقي المصائب، وحسنُ النظر في العواقب، وانتظارُ لطفِ الله وقربِ غيره، واكتسابُ الخبرة في تلقي أمثالها من المكاره، وحسن المعالجة لمن وقعت له مثل تلك الأحوال، زيادة على ما في ذلك من الثواب الجزيل، والأجر العظيم؛ فتكون تلك المكاره من قبيل المنح في طي المحن - كما قال الأول -:

كم نعمة لا تستقلُّ بشكرها لله في طي المكاره كامنة^(١)

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، والقرآن حافل بذكر المؤمنين ممن تمر بهم المصائب؛ فيأخذون بهذا التوجيه الرباني؛ فتكون العاقبة أحمد مما يتصورون. ومن ذلك ما جاء في قصة أم موسى عَلَيْهَا السَّلَامُ لما ألقته في اليم، وسلّمت أمرها لله عَزَّجَلَّ فكانت العاقبة أن صارت ترضعه على مرأى ومسمع، ورعاية ممن تخاف أن يلحقَ به الضرر، وهو فرعون.

وقل مثل ذلك وأعظم ما جاء في قصة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ وكيف تعاملت مع ذلك الهم العظيم الذي نزل بها من جراء حملها، ووضعها.

وسياتي تفصيل ذلك عند الكلام على أمثلة لمن أَلَّتْ بهم المزعجات من أهل الإيمان، وما يكون منهم من حسن التدبير، والمواجهة، والمقاومة =